

حـديـث صحـفـي

أدلى به جلالة الملك بالرباط للسيد سليم اللوزي
رئيس تحرير مجلة الحوادث اللبنانية[1]

س ــ قلت للملك : أنا لا أريد السؤال عن الدوافع والأهداف خلف القرار الذي اتخذتموه بإرسال قوات مغربية إلى سوريا، فلا شك بأنكم أصبتم عدة عصافير بقرار واحد... أنا فقط أسأل عن التوقيت. لماذا الآن، وبعد ست سنوات من الهزيمة ؟

ج ــ قال الملك. تقديراتي ترجح أن اسرائيل سوف توجه ضربة ضد سوريا. لقد جرت، في الآونة الأخيرة تحركات مختلفة في اتجاه الحل السياسي. الملك حسين زار واشنطن، بعده ذهب حافظ اسماعيل مستشار الرئيس السادات وقابل نيكسون، من بقي من دول المواجهة ؟

قلت : سوريا...

قال : وإذا أضفنا إلى ذلك الأنباء المتزايدة التي تروج عن الأسلحة المتطورة التي أعطاها السوفيات للسوريين كان لنا أن نتوقع ضربة اسرائيلية موجهة ضد سوريا، وقد ألهمني الله أن أتيح للجيش المغربي الوقوف إلى جانب إخواننا السوريين.

س ــ قلت : هل أبلغت السوريين بتوقعاتك هذه ؟

ج ــ قلت لعبد الحليم خدام : أنا لست بشير خير بل أنا نذير، حالة اللاسلم واللاحرب القائمة الآن لا يمكن أن تدوم، وإذا كان صحيحاً أن الحل السياسي يقترب من المنطقة فلابد لاسرائيل أن تضرب ضربة أخيرة، ولابد أن تكون هذه الضربة موجهة لسوريا، لذا أريد أن يكون الجنود المغاربة معكم.

وسكت الملك لحظات، وكأنه يستعيد بعض الذكريات، ثم التفت إلي قائلا : كان لي تقدير مشابه عام 1965 خلال مؤتمر القمة العربي الذي عقد في الدار البيضاء. وقتها لم يكن الوضع الدولي قد تدهور بعد ضد العرب. (لعل الملك كان يشير إلى أن الولايات المتحدة لم تكن قد اتخذت بعد قرارها بضرب العرب بواسطة اسرائيل).

وقال الملك : كان الوضع العسكري العربي أفضل من الوضع العسكري الاسرائيلي. وقلت للرئيس عبد الناصر، وأيد كلامي الرئيس بومدين، « إذا كانت هناك نية لمواجهة عسكرية مع اسرائيل فإن الوقت الحاضر هو الوقت المناسب » يومها نشب خلاف حاد بين المرحوم عبد الناصر وبين الرئيس السوري أمين الحافظ، عبد الناصر كان يقول إنه هو الذي يحدد وقت المعركة، فرد أمين الحافظ بأن هذا هو الوقت المناسب للمعركة، وأن أي تهرب من المواجهة مع اسرائيل هو نوع من الانهزامية، وقد أثارت كلمات الحافظ الرئيس عبد الناصر، فغضب وقال بحدة : « أنا لست بحاجة إليك وإلى الجيش السوري. وعندما أختار الوقت الذي سأحارب فيه اسرائيل، فأنا أعرف بأنني سأحارب وحدي ».

وعلق الملك : « لقد سيطر الانفعال على المناقشات. وضاعت امكانية البحث الموضوعي، وأنا ما زلت

أعتقد بأننا كنا أقدر على مواجهة اسرائيل عسكرياً عام 1965 منه في عام 1967، فخلال العامين اللذين انقضيا ما بين مؤتمر الدار البيضاء، وحرب جوان كان العرب لا يتقدمون، بل كان وضعهم يسوء يوماً بعد يوم، بينما كانت اسرائيل تتقدم وتطور جهازها العسكري باستمرار، كنا نبدد أيامنا بالفراغ، وكانت اسرائيل تملؤها بالاستعداد والتخطيط والتدريب. لقد جندت كل يوم للمعركة، بينما ضيعنا نحن كل شيء ».

س ــ يبدو أننا نخطىء التقدير دائماً، فرغم اتفاقنا جميعاً على مبدا المواجهة، إلا أن هناك خلافاً حول الأساليب العسكرية التي تتبعها دول المواجهة. البعض يعتقد أنها ستحقق القدرة على التحرير، بينما يرى البعض الآخر أنها لن تحقق ولا حتى القدرة على الدفاع.

ج ــ قبل أن نختلف على أساليب المواجهة، لنتحدث أولا عن مبدأ المواجهة. هل نحن فعلا نواجه اسرائيل ؟ وهل المقصود من المواجهة هو مجرد الوقوف وجهاً لوجه ؟ إذا استثنينا الاشتباكات الأخيرة التي وقعت بين اسرائيل وسوريا في الجولان، أو في أجواء البلدين، فليس هناك شيء يتحرك على الجبهات. كل شيء ساكن فيها حتى العصافير فكيف يمكن أن نتحدث عن الأساليب العسكرية، وعما إذا كانت كافية للهجوم أو الدفاع قبل أن نتفق على مبدأ المواجهة ذاته ؟

س ــ طالما أن جلالتك تعتقد أن مبدأ المواجهة غير قائم، فهل أبلغكم الملك حسين خلال زيارته الأخيرة لكم، شيئاً عن نتائج اتصالاته مع الرئيس نيكسون ؟

ج ــ هل تنتظر مني أن أبوح لك بأسرار الملك حسين ؟ أنا لا أملك هذا الحق. الملك حسين هو وحده الذي يملك حق الحديث عن معلوماته وتقديراته واتصالاته.

س ــ الذي أقصده من السؤال هو معرفة موقفكم من رأي الملك حسين بأن الحل السلمي هو الحل الوحيد المتاح للعرب.

ج ــ وهل الملك حسين هو وحده الذي يؤمن بهذا الرأي ؟ أما أنا فلي وجهة نظر قد لا تلتقي دائماً مع تقديرات الملك الحسين، ولكنه حرٌّ في التصرف على ضوء تقديراته. لقد استمعت إليه، عندما زارنا بعد عودته من أمريكا، وأسمعته وجهة نظري. وعدم تجانس الرأي بين الاخوان يجب أن لا يفسد الود بينهم.

س ــ ما دمنا في حديث الاتصالات والاجتهادات، فهناك قضية ثار حولها لغط كثير، وهي زيارة « ناحوم غولدمان » رئيس الوكالة اليهودية في العالم لجلالتكم منذ حوالي ثلاث سنوات برفقة الصحفي الفرنسي اليهودي « جان دانيال »... ألا ترى جلالتكم أن الوقت قد حان لكشف بعض ملابسات هذه الزيارة وما جرى فيها من محادثات ؟

ج ــ بالفعل كانت هناك ملابسات حول هذه الزيارة. في عام 1969 طرح الفلسطينيون صيغة حل لقضيتهم، وهو اقامة دولة ديموقراطية متعددة الديانات والطوائف، يتعايش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود. وقيل لي ان « ناحوم غولدمان » يريد مقابلتي للتحدث بهذا الموضوع. فقبلت أن أستقبله كيهودي لا كصهيوني، وقلت منذ البداية « أنا لست الفريق المفاوض في القضية الفلسطينية، فالمفاوضون هم الفلسطينيون، لأنهم هم محور القضية، ولا يملك غيرهم حق البت فيها... » وجاء غولدمان وقابلني على هذا الأساس. وكان موضوع المناقشة : كيف يمكن انهاء حالة الحرب بين العرب واليهود ؟ وتساءل « غولدمان » لماذا لا تحل القضية على

الطريقة اللبنانية، أي بتعايش يقوم على توازن بين الطوائف ؟ فقلت لغولدمان : هذه صيغة مطروحة، وتبدو ممكنة نظرياً. ولكن إذا حاولنا أن نطبقها على الواقع فسنصطدم بعقبات كثيرة، أخطرها في نظري سياسة الاستيطان التي تتبعها الدولة الاسرائيلية... إذ كيف يمكن أن يتحقق تعايش وتجانس بين مهاجرين قادمين من أوروبا وأمريكا وبين عرب فلسطين ؟ إنهما مختلفان في العقلية والتقاليد والعادات. إن العلاقة التي تقوم بين جماعتين متفاوتتين، وخصوصاً في المستوى الحضاري لا يمكن إلا أن تحمل في طياتها بذور العنف والتسلط والسيطرة. إنها نفس سياسة الاستيطان التي جربت فرنسا أن تمارسها في المغرب أما التعايش والتجانس والتفاهم والتوازن بين العرب واليهود الذين ولدوا وعاشوا في فلسطين والبلاد العربية، فذلك ممكن ومطلوب. وقلت لغولدمان : عندما تسمع أبا ايبان يرتجل باللغة العربية فلا يلحن ولا يخطىء بين أخوات « كان » وأخوات « إن »، ولا ينصب الفاعل ولا يرفع المفعول، نقول من الممكن التفاهم والتجانس والتعايش، ولكن كيف يمكن التفاهم والتجانس بين عربي فلسطيني ومهاجر قادم من روسيا أو بولونيا أو نيويورك ؟ قلت هذا الكلام لغولدمان قبل ثلاث سنوات، أي قبل أن يتدفق المهاجرون اليهود الجدد، فما بالك الآن ؟ هل من الممكن تطبيق الصيغة التى طرحها غولدمان أي لبننة فلسطين ؟ يومها أجابني غولدمان إن المهم هو استمرار الحوار حتى يمكن الوصول إلى صيغة عملية، فلا يجوز أن نرى العقبات وحدها ونستسلم لها. فقلت له : إن كان ما تقوله صحيحاً فلست أنا بالمحاور المطلوب وكما قلت لك في البداية أكرر أنني لا أملك حق البت بالقضية الفلسطينية فالبرغم من أني كملك مسؤول عن المغرب وكمواطن عربي متضامن مع الشعب الفلسطيني وملتزم بالدفاع عن قضيته، الا أن الذين يملكون حق الحل والربط والحوار والقبول والرفض هم الفلسطينيون وحدهم. عندها طلب مني غولدمان أن أكون وسيطاً بينه وبين الفلسطينيين حتى يتابع معهم الحوار والمناقشة. وبالفعل فقد ترك لي عنوانه في أوروبا لكي يتصل به من يرغب. وبدوري أبلغت هذه المعلومات وما دار بيني وبين غولدمان للذين يهمهم الأمر. فكان الرد : « هذه ورقة لم يحن وقتها بعد، وقد نحتاجها في المستقبل ». وكما قلت لك، فإني أعتقد أن الظروف قد تغيرت، والصيغة لم تعد ممكنة ولا مقبولةً من الاسرائيليين ولا من الفلسطينيين، وبذلك أغلقنا هذا الملف...

س ــ قيل وقتها إن « غولدمان » إنما جاء يطلب وساطتك مع عبد الناصر وليس مع الفلسطينيين.

ج ــ ليس هذا صحيحاً على الاطلاق. قلت لك إنه طلب مني أن أتيح له فرصة الحوار مع الفلسطينيين، لأنه لا عبد الناصر ولا أي حاكم عربي آخر يملك أن يحل القضية في غياب الفلسطينيين. وما من حل ممكن إلا الذي يقبله الفلسطينيون.

س ــ اذن إلى أين يتجه النزاع العربي الاسرائيلي في تقديركم ؟

ج ــ أولا أنا أومن بالمثل القائل « دوام الحال من المحال » فلا يمكن أن تستمر حالة اللاسلم واللاحرب القائمة الآن. ثانيا أنا لا أعتقد أن أحداً من الطرفين العربي والاسرائيلي قادر على انزال هزيمة ساحقة بالطرف الآخر. ثالثا علينا أن نضع أمامنا احتمال حصول اسرائيل على قنبلة ذرية قذرة فالكل يعلم أن القنبلة الذرية لم تعد متعذرة على من يملك المال والعلم. واسرائيل تملك الاثنين. الهند ــ مثلا ــ على وشك أن تمتلك قنبلة ذرية. ماذا يكون حالنا إذا أعلنت اسرائيل عن امتلاكها لقنبلة ذرية ؟

وفجأة انتقل الملك إلى حديث الطلبة، ولكن في مصر، فقال : أليس من الأفضل للطلبة المصريين، بدلا من الاضراب والاعتصام والتظاهر في الشوارع أن يتفرغوا لاتقان علومهم لمواجهة العلم الاسرائيلي، أيهما أجدى ؟

أن يهتفوا في الشوارع للحرب أم أن يعملوا لها في مختبرات كلياتهم ؟ إن مصر تملك أكثر من أي بلد عربي الامكانيات العلمية لصنع قنبلة ذرية. ولا يجوز أن تهدر امكانياتها في صراعات داخلية ضد مصلحتها القومية.

وسكت الملك قليلا ثم قال : نحن لسنا دعاة حرب، فالدول العربية بامكانياتها الفنية، وأوضاعها المتخلفة بحاجة إلى سلم حقيقي لمدة نصف قرن على الأقل حتى تستطيع استثمار مواردها وتحقيق التكامل الاقتصادي من المحيط إلى الخليج. كل شيء عندنا. الفلاحة والسياحة. الغاز والبترول. الفلاحة والسياحة. الغاز والبترول (وكررها خمس مرات) كل هذه الثروات كان يمكن أن تعبد طريقاً من ذهب ما بين المحيط والخليج. ثروتنا كان يمكن أن تشكل قوة ضاغطة على المارك والدولار والاسترليني بدلا من أن تتحكم هذه العملات بثروتنا... ولكننا كما جاء في القرآن الكريم « كمثل الحمار يحمل أسفاراً » لا يدري قيمة الكنوز التي يحملها فوق ظهره.

س ــ هل يمكن أن تتم التنمية في ظل سلم الأمر الواقع الحالي ؟

ج ــ لا أعتقد، لأن السلم العسكري كالذي عرفه العالم في الفترة بين عام 1919 وعام 1939 لا يمكن أن يحقق إلا مزيداً من إهدار الطاقات واستنزاف الموارد.

س ــ اسمح لي يا صاحب الجلالة أن أقول بأن ما سمعته من تحليلك للموقف العربي، قد ذكرني بما يردده الذين يعرفون جلالتك عن التناقض بين ذكائكم وسعة معرفتكم وثقافتكم العصرية وبين تصرفاتكم التي تعطي انطباعاً معاكساً لكل ما تتحلون به من مزايا...

ولم ينفعل الملك، بل سألني بهدوء : مثل هذا ؟

س ــ مثل قضائكم على كل محاور قادر على مناقشتكم حتى أصبح المغرب أسير فكر واحد، تنفذه حفنة من الأدوات لا تعرف إلا قولة « نعم » ولا تملك من وسائل الولاء إلا التزلف والنفاق.

ج ــ كيف يمكن أن أتهم بالقضاء على الحوار إذا كانت كل وسائل الحوار موجودة ؟.. في بلادنا أحزاب، وصحافة حرة تنتقد كما تشاء، وقوانين تكفل حرية الاجتماع والاضراب والتنظيم وحتى حرية مقاطعة الانتخابات والسلطة وإهمال أخبار القصر، ولكن إذا كان المحاورون قد اختاروا السلبية، فكيف أجبرهم على الحوار ؟ لقد دعوتهم إلى الحكم فرفضوا. ودعوتهم للانتخابات فقاطعوها، فأين يمكن أن تكون مواقع الحوار ؟ في السلطة وحدها ؟ قد نختلف هنا على حصة كل مؤسسة، وعلى حجم المسؤولية التي يجب أن تتحملها هذه المؤسسات، ولكن هذا الخلاف لا يعني أن السلطة وحدها هي الموقع الذي يمكن منه خدمة الوطن. فالسلطة لا تكتمل إلا بالمعارضة. والمسؤولية ليست قاصرة على السلطة، بل على المعارضة أن تتحلى بالشجاعة، وتواجه الجماهير بالحقيقة، لا أن تعدها بالأماني التي لا سبيل إلى تحقيقها. ثم تتهرب من مواجهة الجماهير متسترة بالهجوم على السلطة واتهامها.

س ــ يبدو أن المعارضة يا صاحب الجلالة ليست مقتنعة بذلك. لقد سمعت أن حواراً دار بين جلالتكم وبين الكولونيل « أمقران » (أحد المتهمين الرئيسيين الذين.أعدموا بحادثة الهجوم على طائرة الملك) لقد سمعت أنه قال لجلالتكم : « أنا لست ضد الملكية، بل أعتقد أن الملكية هي ضمان الوحدة الوطنية في المغرب، ولكن اعتراضي هو على شخصك أنت... أنت الذي لا تريد أن تقرب إليك إلا المتزلفين ». ومثل هذا الكلام سمعته من بعض شباب المغرب أيضاً، بل ان بعض الديلوماسيين يشيعون أن غياب المعارضة قد أوقع

السلطة في اللامبالاة، حتى أن رجال الديوان الملكي يركضون خلف جلالتك في ملاعب الكولف لتوقيع المراسيم.

وسكت الملك، حتى ظننت أني تجاوزت حدود المجاملة، ولكن صوته لم يلبث أن عاد خافتاً كأنه كان يحدث نفسه.

ج — لستَ أول مَن يردد مثل هذه الأقوال. وأنا أفكر دائماً وأتساءل : من الذي يروج هذه الاشاعات ؟ من الذي يتعمد تشويه التجربة المغربية ؟ لماذا هذا الالحاح على تحطيم صورة الحكم في المغرب ؟ من هي القوى صاحبة المصلحة في زرع الشكوك ونشر الأكاذيب وتجسيم الأخطاء ؟ تارة أنا ملك ديكتاتوري، حاكم من القرون الوسطى، يجمع كل السلطة بين يديه ويتصرف في كل صغيرة وكبيرة، وتارة أنا ملك لاه عن المسؤوليات، أعيش في الملاعب ولا أهتم حتى بقراءة المراسيم قبل أن أوقعها. وأعتقد أن هناك قوى معادية يهمها أن تقضي على التجربة المغربية، لأنها تجربة فريدة ليست في افريقيا وحدها بل وفي معظم دول العالم الثالث. نحن دولة ملكية تحاول التنمية دون التخلي عن الديموقراطية.

س — ولكن ماذا عن العدالة الاجتماعية ؟

ج — نحن لا نكتفي باشتراك العمال في ادارة المصانع بل نشركهم في ملكيتها. نعم نحن نظام ملكي ولكننا نؤمم الأراضي ونوزعها على الفلاحين، وننشيء لهم الجمعيات التعاونية لا لتسيطر على الانتاج والتسويق بل لتكون مرشدة لهم بأفضل وسائل الانتاج وزيادة الدخل... أنت لا تعرف — لأن أحداً لا يهتم بالحديث عن الايجابيات في نظامنا — إن 96 في المائة من طلبة الجامعات ينالون منحاً دراسية، فضلا عن التعليم المجاني... نحن دولة من العالم الثالث تعرض رئيسها لأكثر من محاولة اغتيال، ومع ذلك لم نحل الأحزاب، ولا فرضنا حكماً ارهابياً يفرضه غيرنا لأهون من ذلك بكثير. ومن هنا التركيز المعادي لتشويه تجربتنا. إن ما قلته عن « أمقران » لا أساس له. لقد قابلت « كويرة » عقب القبض عليه، وهو الذي قال لي إن أوفقير أمره بالعملية.

س — هل تسمح بأن نتحدث عن « حالة » أوفقير ؟ أوفقير كشخص لا قيمة له. ولكن أوفقير كحالة جدير بالدرس، ويطرح أسئلة ما زالت بحاجة إلى أجوبة. وجلالتك هو خير من يجيب عنها. كان أوفقير أداة أيام الانتداب الفرنسي، واستمر أداة في ظل الحكم الوطني، لم يكن يوماً من الأيام رأساً. ولا كان بالرجل الوطني الذي يمكن أن يقال إنه تحسس مشاعر الناس، فأقدم على التآمر على سيده من أجلهم، ولا هو بالزعيم الذي يطمح بحكم المغرب، ولا كان يأمل أن ينال من أي حاكم أكثر مما كان له في ظل الحسن. كان أوفقير الملك غير المتوج، فلماذا خان الملك ؟ لابد أن يكون هناك سيد آخر أقوى من سيده حتى تآمر عليه ؟ هل هناك تفسير آخر لحالة أفقير ؟

ج — إن ما تقوله صحيح، وحتى الآن لا أجد تفسيراً آخر، كانت المرة الأخيرة التى رأيت فيها أوفقير على ظهر الباخرة يوم 26 يوليوز، ودهشت إذ انهال أوفقير على يدي تقبيلا وبكاء وسط المودعين والركاب الأجانب، وقد بلغ من انفعاله أن أخي عبد الله تأثر بدموعه، فبكى معه، وقد قلت له لأسكته « أوفقير، ايش هالشيطان المريض الذي يوسوس لك ؟ ». ولكني لم أره بعد ذلك، وقد أسفت أنني لم أتمكن من مقابلته بعد المؤامرة، لأعرف الجواب عن مثل هذا السؤال، ولو من الناحية النفسية والعلمية.

ولم أشأ أن أعيد الجدل في قضية انتحار أوفقير، فقد روى لي الوزير « ابن جلون » في الطريق ما بين

الرباط وفاس تفاصيل انتحار أوفقير قبل أن يرى الملك، وبمجرد علمه بأن « كويرة » قد قابل الملك.

س ـــ قلت للملك : بعض الديبلوماسيين يعتقد أنه توصل لمعرفة الشيطان الذي يوسوس للجنرال أوفقير، ومن قبله للجنرال المذبوح، وهي المخابرات الأمريكية، أو أحد أجهزتها.

ج ـــ لقد ناقشت هذا الافتراض، ولكني لم أجد مصلحة أمريكية لقلب النظام في المغرب. إنهم يعرفون بتجاربهم أن الانقلاب الأول يمكن تحديد هويته ولكنه يفتح الباب لسلسلة انقلابات مجهولة الهوية. والفوضى لن تلد إلا فوضى. والمغامر الذي تأتي به المخابرات الأمريكية لابد أن يقلبه مغامر آخر تدعمه المخابرات السوفياتية أو الصينية. ففي هذه البقعة الهامة، على رأس البحر الأبيض المتوسط لن تحجم القوى الكبرى عن استغلال الموقف إذا ما بدأت دوامة الانقلابات.

س ـــ ولم أشأ أن ألح أكثر من ذلك على جلالته، فلم أقل له : إن هذه الفوضى هي ما تريده المخابرات الأمريكية. فتمزيق المغرب، ثاني أكبر دولة عربية بعد مصر، وأقرب نقطة من نقاط الاتصال بين أوروبا وافريقيا، ومركز التقاء الحضارة العربية ـــ الاسلامية بالمغرب، بل أرض التحدي بين الحضارتين العربية الاسلامية، والأوروبية المسيحية... هو هدف استراتيجي قاتلت أوروبا لتحقيقه ستة قرون كاملة، ثم ورثت أمريكا والصهيونية هذه الرسالة العدوانية، لم أقل ذلك للملك مباشرة، بل قلت له : ولكن، ألا ترى جلالتكم أن هناك عمليات استنزاف مستمرة في المغرب ؟ المؤامرات، اضرابات الطلبة، الموقف بينكم وبين الأحزاب، وما يتبع ذلك من جر السلطة إلى استخدام العنف والقمع، أي عملية افتراس للذات التي تشترك فيها كل الأطراف، وتخلق المناخ الملائم للانقلاب المطلوب ؟

ج ـــ نحن نعي ذلك، وحريصون على أن لا نسقط في أساليب القمع. إننا نواجه العصيان بتطبيق القانون دون أن نسقط الشرعية، لأن تطبيق القانون يحمى حرية المواطن وأمن الوطن.

أما اسقاط الشرعية فهو الذي يسبب ما سميته أنت بأكل الذات (افتراس الذات). والصورة ليست قاتمة كما تبدو لك، فالمغرب بلد كبير، وتعطل الدراسة في جامعة الرباط ـــ مثلا ـــ لا يعني أن الحياة قد توقفت في المزارع والمصانع. وما نعانيه ليس حالة خاصة، فالعالم كله يعيش مرحلة اعتراض على المؤسسات.

س ـــ قلت : تقصد مرحلة رفض ؟

ج ـــ لا، مرحلة اعتراض. الرفض موقف ايجابي، أما الاعتراض فهو مرحلة الشك وإعادة التقيم.

س ـــ وهنا شعرت أن الحديث وصل بنا إلى السؤال الذي كان يلح علي منذ وصولي إلى المغرب، فقلت : إذا كنت يا سيدي تتفهم حالة الاعتراض التي يعيشها شباب العالم، فلا شك أنك تدرك حدة هذه الحالة عند شبابنا العربي، سواء في المغرب أو خارجه. حالة الفراغ الروحي والفكري التى تجعلهم يبحثون عن ايديولوجيات غربية عن تراثهم، وغير منبثقة عن واقعهم، ولا تلبي طموحهم القومي، وكثير منهم يكتشف ذلك، ولكن بعد فوات الأوان. إن الذين يعرفونك يا صاحب الجلالة، واستمعوا إلى دروسك في الفقه الاسلامي التي تعودت أن تلقيها في شهر رمضان، ثم تحدثوا معك، ولمسوا اطلاعك على آخر تطورات الفكر الأوروبي المعاصر، أدركوا أنك إحدى الشخصيات النادرة بين الحكام العرب التي تجمع بين عمق التراث وعصرية المعرفة. صدقني يا سيدي، إنني عندما شهدت احتفالات عيد العرش في القصر الملكي، شعرت

كأني أعيش إحدى صور الحضارة العربية في أرقى عصورها كما خلدها كتاب الأغاني ومرثيات الأندلس. وعندما استمعت إلى الموشحات الأندلسية، وأنا أتأمل الآن فن الزخرفة العربية في قاعة مكتبك، وأسمعك تتحدث بالمصطلحات الفرنسية، وتستشهد بالقرآن والأحاديث... تساءلت : هذا الملك الذي تتجمع في بلاده استمرارية التراث وامكانية البعث (مع الاعتذار من ميشال عفلق) لماذا يقصر طموحه عند حد الاستمرار ؟ لماذا لا تنطلق من المغرب الثورة الثقافية التي تلبي حاجة الشباب العربي إلى قضية يعيشون من أجلها ويموتون في سبيلها ؟ إن الشباب العربي، مثلك يا صاحب الجلالة، يعتز بماضيه، ولكنه يعيش خارج معتقداته القومية، لأن المعتقدات لم تتجدد، لم تستفد من تجارب العصر.

ج ــ هذه حالة تمر بها الأمم لا سيما الأمم العريقة لنأخذ تاريخ المغرب. عندما ترهل المجتمع المغربي في أواخر عهد الأدارسة، جاء المهدي بن تومرت، يطرح صيغة متجددة للاسلام. صيغة ديناميكية تعيد لجوهر العقيدة توهجها الأصيل. وفي التاريخ الاسلامي مجددون كثيرون، ايديولوجيون متفرقون كانوا دائماً ينفتحون على احتياجات العصر. بل إن الدين الاسلامي قد نبه إلى قانون التجدد هذا، ففي الحديث الشريف « يبعث الله على رأس كل مائة سنة، من يجدد لهذه الأمة أمر دينها ».

وقال الملك : ولو أننا تقصينا مصدر الكثير من الذكريات والأفكار والمبادىء التى بنى عليها الأوروبيون حضارتهم، لوجدنا أصولها اسلامية. لقد كنا دائماً، وهنا في المغرب بالذات، نعطي أوروبا خلاصة تجاربنا، وثمار أفكارنا، ونأخذ من الأوروبيين ما يصلح لنا من أفكارهم، وما يفيدنا من تجاربهم. وصدقني إذا قلت لك إننا أعطينا أكثر مما أخذنا. وإلى ما قبل سنوات قليلة لم تكن المرأة الأوروبية تملك حق التصرف بأموالها، ولا حق ايداعها في المصاريف إلا بإذن زوجها. لم يكن لها حق التملك ولا حق التصرف إلا بموافقة ولي أمرها. أما المرأة في الاسلام، فلها كل حقوق الرجل منذ أربعة عشر قرناً. الجوهر والمبادىء صالحة للانبعاث، وما نحتاجه هو تجديد فكري مبني على تراث هذه الأمة، قادر على استيعاب التطورات والأحداث وتلبية تطلعات الأجيال الحاضرة. أنا معك، ان أمتنا بحاجة إلى نظرية متجددة، لأنها ضمانة بقائها. وفي اعتقادي أن أحد الأسباب الرئيسية لهزيمتنا عام 1967، بل وكل هزائمنا أمام اسرائيل، هو افتقارنا لنظرية، أقصد ايديولوجية مستمدة من تقاليدنا وتراثنا، وهو من أغنى ما أنتجته الحضارات الانسانية...

وارتسمت فوق وجه الملك مسحة صوفية، ثم استطرد قائلا : كل منا، عندما يعود إلى بيته ويأوي إلى فراشه، ويحاول أن يفكر قبل أن ينام، لا بد أن تمر مثل هذه الأسئلة في مخيلته، تحاول أن توقظ فيه حافزاً لعمل ما. واعترف لك، بأننا إذا كنا لم نهيء المناخ المناسب لمثل هذا الانبعاث الثقافي الذي تتحدث عنه، فلأننا شغلنا خلال السنوات الماضية بمعارك جانبية لم تترك لنا وقتاً للقيام بمثل هذه المهمة...

السبت 5 صفر 1393 ــ 10 مارس 1973

---

1) نشرته مجلة الحوادث في عددها الصادر يوم 23 مارس 1973.